الخزف العراقي المعاصر وعلاقته بالتراث

أ.د. صباح أحمد الشايع
كلية الفنون الجميلة – جامعة البصرة

الفصل الاول

مشكلة البحث والحاجة اليه

هناك سمة مميزة في الخزف العراقي المعاصر الا وهي الاصالة ، وتعد هذه السمة من اهم مميزات الخزف فضلا عن التراث وعلاقته بالخزف ، تلك مشكلة لم يتطرق لها الباحثون مما جعل الباحث ان يتصدى في هذه الدراسة للكشف عن تلك العلاقة طبقاً لاهداف البحث . ان اهمية الدراسات في التراث باعتباره تاريخ الامة الحي الموصول بحاضرها المندفع نحو مستقبلها المرتقب ، المليء بالرموز التي تتخذ اشكالها ايقونات اصطلاحية رمزية لتدلي بمفاهيم لها دلالاتها الفكرية تتأرجح اشكالها بين الواقعية والرمزية التعبيرية ذات المضمون المعاصر التي استقدمها الخزاف المعاصر في كثير من اعماله الفنية التي تتماشى مع آمال ومستقبل امتنا . ان النظرة الى التراث هي نظرة استخلاصية استنتاجية وليست نظرة سطحية وهذه النظرة الكلية اهميتها في بعث الاعتزاز بفن الخزف المعاصر كونها نظرة حية علمية باعتبار التراث من العلوم الانسانية التي تسعى الى جمع شتات الامة الواحدة ذات الخصائص المشتركة فهو لايجزأ الانسان بل ينظر اليه ككل ويحاول دراسته من خلال الذات الانسانية فالفنان منذ ان يولد نامياً متطوراً كفرد في المجتمع يفتش عن ذاته في الماضي ، ومع ما يوحيه الحاضر وآفاقه المستقبلية . تلك اركائز الثلاث تجعل للفنان رؤية مستقبلية لعمله الفني ليحقق الاصالة فيه . لان الاصالة والتراث يرتبطان بعملية ولادة ، والولادة لاتعني استنساخ الماضي وتقاليده وانما هي نتيجة حتمية لعملية التواصل والتطور مع الماضي بصيغ الحياة المتجددة ، عندما تكون عملية استنساخية من التراث فأنها لاتضيف الشيء الجديد وبهذا يجب تهشيم التراث وليس تهشيمه بمعنى التدمير بل لغرض الوصول الى جوهره المؤدي الى الخلق والابداع ، فهي تربط الانسان المعاصر بالشخصية العراقية القديمة من خلال الرموز والمفردات التراثية التي تدل على ذلك وهذه الصيغة توصلنا الى مفهوماً جديداً للتراث باعتباره رمزاً مهماً نستطيع من خلاله فهم الافكار المعاصرة وتجديد ذاكرتها المرتبطة بالعمل الفني ، ولهذا تبدو مشكلة البحث التي تحدد بالسؤال الآتي :ـ

هل هناك علاقة للخزف العراقي بالتراث ؟

اهمية البحث

تنضح اهمية البحث بما يلقيه من اضواء في الجوانب المهمة في الخزف العراقي المعاصر ومنها التراث ، وان من بين ما نعتز به هو انتمائنا الى حضارة قديمة هي حضارة وادي الرافدين ، بمرجعياتها الفكرية وسماتها الشكلية المميزة وانعكاسها في الفنون العراقية المعاصرة ، وخصوصا في ميدان الخزف باعتباره واحداً من الفنون الرافدينية التي شغلت اغلب اعمال الخزافين العراقيين المعاصرين وذلك لاستخدامهم مفردات ترتبط بالتراث ومتأصلة به ، ولما لهذه المفردات من دلالات ومعان تحقق التواصل بين الماضي والحاضر من خلال المزاوجة بين التراث والمعاصرة واسقاط الخزافين المعاصرين على اعمالهم الخزفية وتكوين توليفة تتصف بالابداع فيها من الماضي والحاضر وارتباطها بروح الفنان وتأثره ببيئته واستلهامه من الماضي وسكبه في قوقعة الفن بشكل عام والخزف بشكل خاص للخروج بأعمال خزفية مميزة ، تلك النزعة المتأصلة في القدم التي برزت عظمتها في فنون العراق القديم في جرمو وحسونة وسامراء والعبيد واصبحت فنون البابليين والآشوريين وثيقة الفنون السومرية والاكدية المتمثلة بنزعتها الدينية العقائدية حتى تتوحد الذات الانسانية واشكالها الآلهية الرمزية بسماتها الواقعية رغم ماتكتنزه من مغزى بدائي فطري وكمضمون (ديني ــ خصب) تفرزها المعطيات البيئية وتأثيرها على

المجتمع وتتواصل بنزعتها حتى تصل الى اقصى طاقتها التعبيرية المتمثلة بالتجريد في الفنون وما تنتجه من تأثيرات معاصرة يكون الخزف احد اركانها بأعتبار الخزف من اكثر الفنون التصاقاً بالحياة اليومية للانسان ، ونتيجة لتطور الانسان داخل بيئته فأن ثراءاً فنياً ومعرفياً قد تحقق على مر التاريخ وفي مقدمتها الخزف . فأن الخزاف جزء من عملية التطور ادى ذلك الى اصداره على الوعي الذاتي والقومي للحضارات من خلال تلك الاعمال التي انجزها ، وعليه يتحتم علينا متابعة هذا العطاء الحضاري المتواصل كونه خلاصة الفكر الانساني لبناء الشكل كقيمة تجريدية رمزية تفرزها الخصائص الاجتماعية للوظيفة الانسانية يشكل خاص ووظيفة الفن بشكل عام من خلال تتابع المحركات الفكرية المحفزة والممتدة عبر العصور الحضارية الرافدينية وكخاصية انسانية منبثقة من التراث بكل الجوانب الابداعية ذات الاصالة التي تعكسها الرؤيا التراثية كتجذر معرفي يثري الفنون المعاصرة بما يكتنزه من تراكم تجريبي كنتاج فني معاصر ، بما اننا ورثة حضارة عريقة تؤكد ان الخزاف العراقي المعاصر لايعلو على دراسة الفخار القديم باعتبار القديم هو الارث الذي نستمد منه جميع خيوط النجاح الذي وصلنا اليه الآن ، ولأن التراث يحتل مكانة مهمة في تاريخ الفن المعاصر بأعتباره الهوية المميزة للخزف ومن خلال تعددية الروافد التي تصب فيه مما جعل الباحث ان يتوصل الى استكشافات في ضوء اهمية البحث في التراث في الدراسة الحالية من خلال استقراء الماضي والحاضر وعلاقته بالمستقبل تلك العجلات الثلاث التي تحدد السمة المميزة للفن . لذا ارتأى الباحث دراسة الخزف وعلاقته بالتراث لايضاح مدى هذه العلاقة كي تكون دراسة مستقبلية في مجال الخزف .

هدف البحث

يهدف البحث الحالي الى : ــ

التعرف على علاقة الخزف العراقي المعاصر بالتراث .

حدود البحث

يتحدد البحث الحالي بأعمال الخزافين : ــ

١- شنيار عبد الله

٢- ماهر السامرائي

٣- جواد الزبيدي

ومدى علاقة اعمالهم بالتراث.

الفصل الثاني

بدأ الخزف العراقي المعاصر بشخصية المميزة في النصف الثاني من القرن العشرين و عبر هذه السنوات أستطاع أن يتطور متواصلا مع التطور الفكري والفني حتى احتل هذا الفن موقعا متميزا بين الفنون الاخرى .. وأول بداية لتدريس فن الخزف في العراق كان عام ١٩٥٤ حيث سعى زيد محمد صالح زكي الى دراسة الخزف في معهد الفنون الجميلة بعد تأسيسه عام ١٩٣٩ وتم تشجيعه من قبل الفنان فائق حسن و جواد سليم ومن ثم طلب من " آيان اولد " الخزاف البريطاني تأسيس هذا الفرع في المعهد حتى فتح أول شعبة للدراسة سنة ١٩٥٥ , بعدها انتدب لأدارة فرع الخزف الفنان " فالنتينوس كارالمبوس" (*) بعد رجوع " آيان اولد " (١٩٥٦-١٩٥٧) كان هناك ثلاثة طلاب هم ثريا فتوحي مراد , فاضل العبيدي و سالم حبيب الداغستاني . وأعتبر سعد شاكر اول فنان عراقي قام بتدريس مادة الخزف العملي والى جانبه اسماعيل فتاح الترك (م:١, ص:١٤) ويعد الفنان سعد شاكر من الفنانين العراقيين المعاصرين بأعتباره المدرس الاول والمنتج الاول للخزف الاكاديمي , ذلك الفنان الذي سار بخطى ثابتة لفن الخزف المعاصر ولكنه لم ينس جذوره الحقيقية لحضارة وادي الرافدين وللحضارة الاسلامية فكان فنه ملتصقا بالتراث الذي تأثر به ايما تأثير حتى ظل هذا الخزاف يعمل أعمالا كلاسيكية أو تراثية بحتة فالتراث عنده خزين لتجارب مكثفة استقاها من القديم واستغراقه في اعادتها بمعاصرة الخزاف الذي يقوم في بناء الحضارة لتحقيق الاصالة (م:٢, ص :١٣-١٩). فظل الخزافون العراقيون الرواد

(*) فالنتينوس كارالمبوس : فنان يوناني حصل على الجنسية العراقية عام ١٩٥٨ ويعتبر المؤسس الاول لفرع الخزف في كلية الفنون الجميلة - جامعة بغداد

متحمسين يستلهمون الماضي حتى عملوا على أستقصائه والبحث عنه وضرورة أستيعابه ومزجه بالفكر المعاصر والبحث عنه من خلال سفرهم الى خارج العراق ليتعلمو علوم هذا الفن وللأرتقاء به من الناحية التقنية على أسس فنية .تأثر الخزاف العراقي المعاصر بالتراث تأثيرا واضحا ولا نقصد بالتأثير النقل المباشر بل روح الابداع وأن تطويع التراث سيمنح الخزاف العراقي واقعا كبيرا .(م:٤,ص:٢٣). ان فن الفخار يتميز بسحره كونه يوفر مصدرا غنيا للأكتشاف والتطور وانه فن فريد من نوعه لأنه يربط بعلاقة مع البيئة (م:٤, ص:١١) . ويعتبر من الفنون الاولى التي ظهرت على الارض,ويتصل بالفنون الاخرى وانه فن بعيد عن كل انواع التقليد جعلته يتمتع بصفة التحرر ولأنه يخضع لعوامل التطور والحداثة . أن استقدام الخزاف لمفردات الموروث سواء كانت هذه المفردات كشكل الاهلة والنخيل والعيون السومرية والاشكال الحيوانية وحركة الماء وتموجاته والكتابات الاسلامية كلها مفردات موروثة امتلكت شرعية عراقية فكانت عصارتة هذا الموروث تكمن في خلق نماذج ذات سمة شكلية لهذه المفردات , ومن خلال هذه المفردات استطاع الخزاف المعاصر ربط الحاضر بالماضي بالرغم من الفارق الزمني بين العصور الحضارية الاولى . ان بعض الرموز الموروثة التي تم توظيفها متأثرة بها من مدارس اوربية كانت لتأثيراتها الواضحة في كثير من اعمالهم الفنية التي تم ذكرها سابقا حيث ظهر تأثير مدارسهم هذه متزاوجة مع رموزنا الموروثة بأعتبار الفن يكمل اعمال الماضي (م:٥,ص:٤٤) وبروح معاصرة تتميز بالحركة مما يجعل التراث متفاعلا مع العصر ومتجاوبا معه (م:٦,ص:٢٠) . ان التراث وعلاقته بالخزف لم يأت من المجهول وكما هو الحال بالنسبة الى الرموز الموروثة فعملية البناء للشكل تحقق انفعالا جماليا يرتبط بلحظة التنفيذ من قبل الخزاف (م:٧,ص:١٠)، وان استلهام الخزاف لهذه الرموز الموروثة سواء كانت رافدينية او اسلامية لها دلالات فكرية خاصة عبر عنها الخزاف المعاصر لتحقيق الذات .ان تجميع هذه الرموز مع أجزاء الشكل لتكوين الكل معنى غير مفهوم , الا ان الخزاف المعاصر بأستلهامه لهذه الرموز كأنما يكشف عن هوية العمل الفني , وكأن هذا الرمز هو الشعار الذي يستند اليه هذا الخزاف والذي نفتخر به على مر الاجيال, ان هذا الموروث هو هوية كل فنان عراقي معاصر يبرز هويته للعالم الخارجي , وبهذا يكون الخزاف المعاصر يستند على ارضية واقعية وليس من الخيال ولكن عملية التركيب البنائي تجريدية (بأدائها) وليس بمفرداتها وهذا ما يؤكد تلك العلاقة.

الفصل الثالث

عمل الفنانون المعاصرون على دراسة التراث ومزاوجة الماضي بالحاضر وبتقنيات معاصرة من خلال العودة الى استقدام الرموز التراثية كالحرف العربي (النموذج ١،٢،٣) الذي كان له بعده التشكيلي والمتنوع في اغناء الاسلوب والتواصل الى قيمته التجريدية كما في اعمال الخزاف شنيار عبدالله والخزاف جواد الزبيدي والخزاف ماهر السامرائي فضلا عن الشناشيل والاقواس والنخلة الاشورية التي ظهرت في كثير من اعمال الخزافين المعاصرين امثال الخزافة عبلة العزاوي وشنيار عبدالله واستخدامهم للرموز السومرية كأشكال المتعبدين (النموذج ٤،٥) . كما في اعمال الخزاف ماهر السامرائي والخزاف سعد شاكر التي كانت مستقاة من التراث العراقي القديم والاسلامي حتى امتازت اعمال الخزاف سعد شاكر بالتراثية تظهر للمشاهد عمق رؤيته.لقد عبر هذا الخزاف عن التراث بتوظيفه للرموز بأسلوب ينم عن رؤيا واقعية بالتاريخ حيث ان اصالة اعماله المتمثلة بجمع الموروث القديم مع المعاصرة في حين كان الخزاف شنيار عبدالله شاغله الاكبر هو رؤية التراث بعين معاصرة من حيث استلهامه الاقواس والاهلة والنخلة الاشورية كلها رموز تراثية استمدها ذلك الخزاف من فنون وادي الرافدين فلم ينس بذلك جذوره مضيفا اليها تقنيات معاصرة ,اما الخزافة عبلة العزاوي لم تتخلى عن جذورها مستلهمة من الرموز التراثية التي شغلت معظم اعمالها الخزفية مما زاد اعجاب المتذوق بكل ما يتعلق بالتراث حتى انتقلت الى الفن الاسلامي محاولة بذلك

الجمع بين كل الادوار وكانت التأثيرات الاسلامية لها الاثر الاكبر من الادوار والمراحل الاخرى (م:٨, ص:١١٠) . اما الخزاف جواد الزبيدي والتراث فهما صنوان لا يمكن لأحدهما ان يفارق الاخر فيقول "ان وضع زخرفة اسلامية وتاريخية على السطح الخارجي للشكل يعني اضفاء الطابع العربي الاسلامي ذي الاصالة " (م:٨, ص:١٠٦) . يستشف الباحث في ضوء ما تقدم ان الخزاف العراقي المعاصر على الرغم من تطلعاته تجارب الاخرين وبالخصوص التجارب الاوربية ,الا ان ذلك لم يمنعه من ان تكون له رؤية فنية وذاتية مستمدة من تاريخ حضارته وكانت رؤية الخزاف هي امتزاج ما بين التراث والمعاصرة .

المصادر

تسلسلها حسب ما ورد في متن البحث :

١ــ بلال عبد الوهاب ، جريدة الجمهورية , العدد ١١٣- ١٩٧٢/٢/١٥

٢ــ الجزائري ، محمد. سعد شاكر وانتباهة الخزف ، مؤسسة رمزي للطباعة , العدد٥ ، ك ٢ , اللجنة الدائمة للاعلام الفني في وزارة الثقافة والفنون, بغداد ١٩٧٩.

٣ــ الزبيدي ، جواد ، الخزف الفني المعاصرفي العراق , الموسوعة الصغيرة بغداد , دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٦

٤ــ ديكرسون – جون ، صناعة الخزف ، ترجمة : هاشم الهنداوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٦

٥ــ الخطيب ، عبدالله ، الفنون التشكيلية والثورة دراسة نقدية لأعمال بعض الفنانين العراقيين والعرب ، منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٦.

٦ــ الصراف ، عباس ، افاق النقد التشكيلي ، الدار الوطنية للطباعة بغداد ١٩٧٩

٧ــ محمد جلوب ، التجريد في الرسم العراقي المعاصر ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الفنون الجميلة – جامعة بغداد ، ١٩٨٨

٨ــ الخزف العراقي المعاصر ، افاق عربية ، مجلة فكرية شهرية تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ، العدد ٥- ١٩٩٣

ملاحق

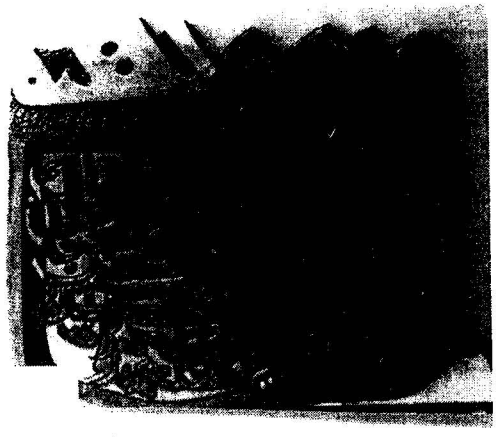

نموذج رقم (١)

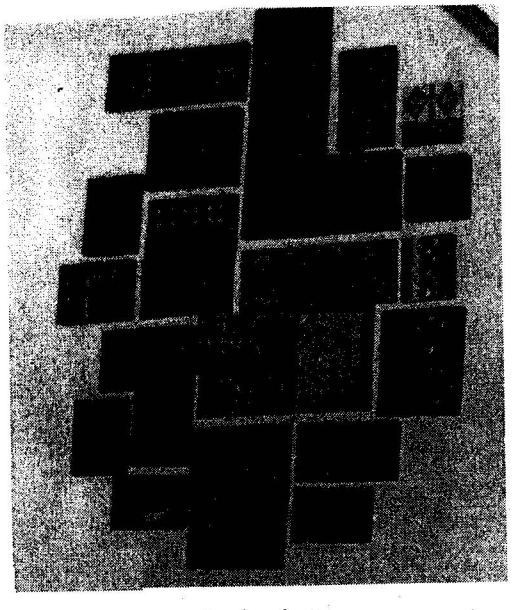

نموذج رقم (٢)

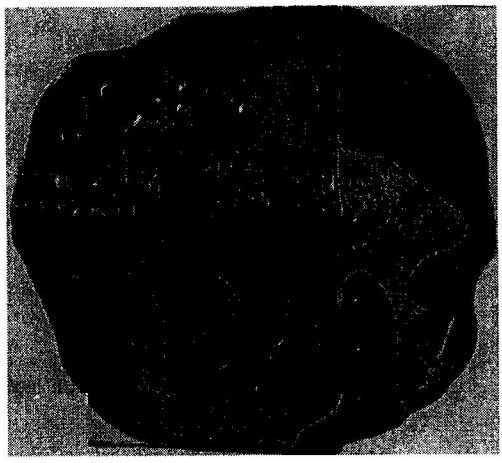

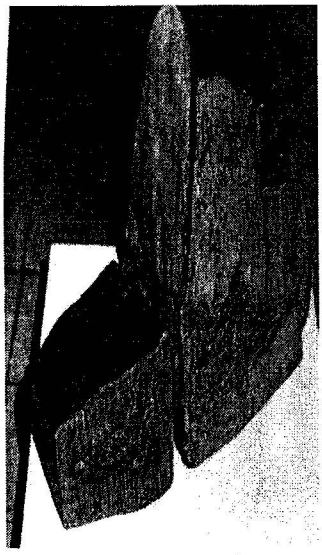

نموذج رقم (٣)

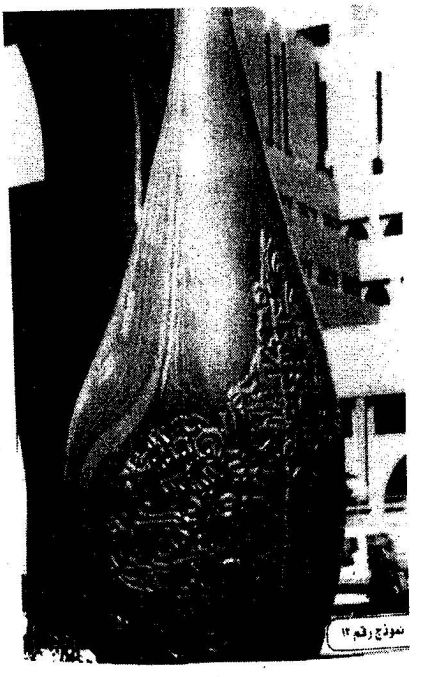

نموذج رقم (٤)

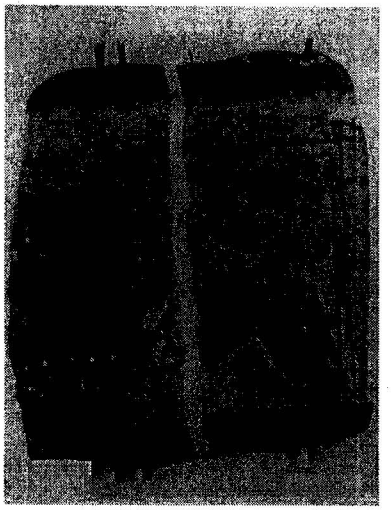

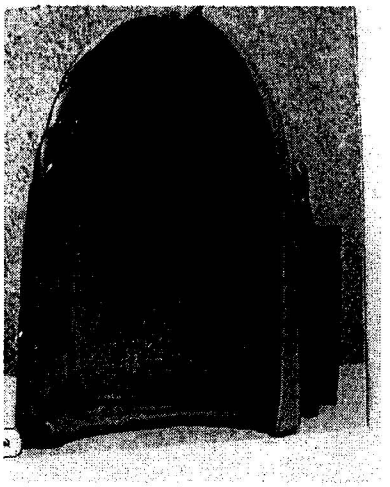

نموذج رقم (٥)